أعمال الحفاظ والتنقيب الأثري الإنقاذي في موقع كنيسة خريبة السوق

أديب اسحق ابوشميس

تقع الكنيسة على جزء واضح من التل الاثري (الخريبة) وقد كان لكثرة تعاقب الاستيطان على المكان اثراً كبيراً في البقايا المعمارية المتواجدة، كما ان الاستخدام المستمر يشير إلى أهمية الموقع من النواحي الاقتصادية والاجتماعية. ويذكر كبار السن في القرية انها كانت تسمى سوق الجواهر ويربطون ذلك بأهل الكهف في الفترة الرومانية، كما أنها كانت في القرن الماضي سوقاً للحلال (بيع الاغنام). وقد يكون هذا هو التقليد الموروث جيلا بعد جيل كونها تقع على الطريق الروماني (Via Nova Traiana) (**الشكل ١**).

يحوي الموقع عناصر معمارية مختلفة منها بقايا معبد من العصر الروماني (القرن الأول الميلادي / الثاني الميلادي)، ثم استخدم في فترة لاحقة ككنيسة في الفترتين البيزنطية والإسلامية وهجر الموقع حتى الفترة المملوكية حيث استخدم المبنى كإسطبل وفي الفترة العثمانية كمسكن.

وفي عامي ١٩٧٤-١٩٧٥ قام فريق من دائرة الآثار بالتعاون مع الجامعة الاردنية بالتنقيب داخل مبنى الكنيسة ولم يقدم تقريراً علمياً ولكنه اكتفى بالاشارة إلى كون المبنى كان في اصله معبداً رومانياً استخدم ككنيسة في القرن السادس الميلادي. وفي عام ١٩٨١ عمل مجسات تجريبية ربما لتحديد مكان وضع شيك حماية، حيث اصبح الموقع داخل حي سكني اقيمت بعض مبانيه على اجزاء من المعبد القديم، كما تعرض الموقع لاهمال شديد وتخريب وعبث (ابراهيم ١٩٧٥: ١٦، زيادين ١٩٨٢: ١٢).

وفي عام ٢٠٠٤ قدم مفتش الآثار أديب ابو شميس تنسيبه للحفاظ على هذا الاثر الهام والذي ما زال حتى هذا التاريخ مطلوبا للاستملاك. وقد تمت اجراءات الاستملاك كخطة اولى لإكمال المشروع.

من الاعمال التي نفذت بهذا الموقع

الرفع المساحي لبقايا الموقع الأثري /خريبة آثار (**الشكل ٢**)، وتنظيف الموقع من المخلفات والنفايات واعادة ترتيب الحجارة المتراكمة في الجهة الجنوبية من المبنى من اجل استخدامها لاعمال الصيانة والترميم في المستقبل[1].

تأهيل المدخل الرئيس للمبنى والذي يربط الموقع بالشارع العام تمهيدا لتعبيده، كما تم اعداد لوحة تشير إلى الموقع لتعريف الزائر والجمهور المحلي.

نتائج أعمال التنقيب والصيانة في المناطق المحددة مساحياً

١. المربع (A:C4): وهي منطقة الرواق الشمالي/الجناح وقد ظهر ان المكان قد تم التنقيب به في مواسم سابقة، وقد تركز العمل على صيانته، ومن الظواهر التي اعيد كشفها:

- الجدار الشمالي للكنيسة وتبدو عليه مظاهر اعادة الاستخدام حيث الاساس الروماني، كما اعيد نصب المداميك العلوية والتي تمثل بداية لعقد بني في العصر الاسلامي اقيم على الجزء الاصلي من المعبد الروماني والذي بني بداخله كنيسة بيزنطية.
- الجدار الجنوبي للرواق الشمالي وقد اعيد استخدام قطع من الأعمدة في مداميك الجدار الذي انشىء في العصور الاسلامية، وقد ظهرت احدى قواعد الأعمدة الاصلية في مكانها. كما لوحظ سقوط أعمدة الكنيسة وربما كان ذلك جراء الهزة التي تعرضت لها المنطقة في نهاية العصر الاموي ٧٤٧م.
- لم تقدم قراءة الفخار أي تراكم طبقي يمكن ان يفيد في التاريخ كون هذه البقايا (كسر الفخار) تحوي مختلف العصور التي ذكرتها انفا.

٢. المربع (A:B4): ونجاور المربع السابق من الشرق، حيث ظهر:

- استمرارية امتداد الجدار الشمالي للرواق الشمالي واعمال اعادة الاستخدام في بناء الحجارة الاثرية.
- الجدار الجنوبي للرواق الشمالي والذي يمتد بين الاعمدة الثاني والثالث من الشرق ويتكون من حجارة معاد استخدامها ايضا.
- الجدار الغربي وبه بوابة اعيد استخدامها واغلقت في فترة لاحقة من العصر البيزنطي.
- ارضية فسيفساء تالفة تحمل زخارف هندسية ودوائر تنتهي بشكل يشبه صليب.
- حفر مجس اختباري تحت مستوى ارضية الفسيفساء البيزنطية

١. فريق العمل مكون من محمد السرحان وهيا الصباح ومحمد صقر والرسام جمال صافي.

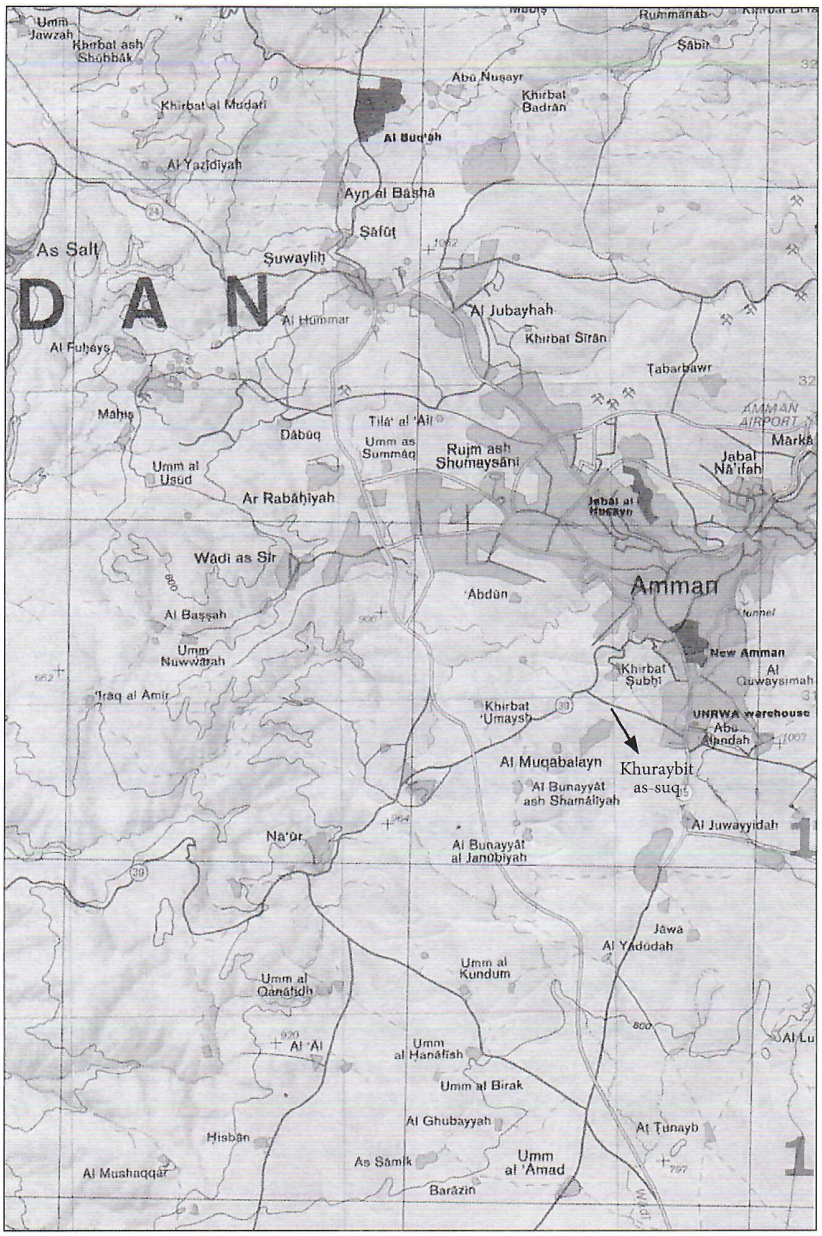

١. خارطة تبين منطقة ريف فيلادلفيا الجنوبي (الإسم الذي اطلق على عمان في العصر الروماني) ويلاحظ موقع خربة السوق.

(A:B4:L10) قياس ١ × ١,٥م فعثر على أرضية من بقايا الاسمنت والحصى، وقد وصل عمق هذا المجس إلى ٢,٤م واهم المظاهر المكتشفة تحت مستوى فرشة الفسيفساء قاعدة لاقامة دعامة ملتصقة بجدار الكنيسة التي بنيت داخل مبنى المعبد وقد ظهر عليها مادة الملاط الأبيض لتثبيتها وربطها مع الجدار الخارجي للمعبد من الداخل، وعلى عمق ٥٠سم من الارضية التي رصفت عليها ارضية الفسيفساء. والظاهرة الثانية عبارة عن كسر من فخار العصر الروماني/ الهلنستي المتاخر والذي يؤرخ من منتصف القرن الاول ق.م إلى منتصف القرن الأول الميلادي، ثم ظهر جدار يتكون من حجارة كبيرة غير مشذبة ومدعمة بحجارة صغيرة بشكل جيد، ويتكون من مدماكين ويشبه في تركيبته عمارة الفترة الهلنستية.

كما ظهر اسفل هذا الجدار بعض كسر الفخار المميزة والتي تعود للعصر الحديدي الاول وقد يقدم هذا دليلا اخر على وجود استقرار عموني قبل ان تكون خربة السوق جزءا من فيلادلفيا الرومانية. ويثير تساؤل فيما اذا كان هناك استقرار من العصر الحديدي يعززه من الغرب موقع تل العميري الذي يحوي مدينة من العصر الحديدي الاول والعصر البرونزي المتأخر (**الشكل ٣**).

ومن الظواهر في (A:D4:10) رقم الحفرية ٢٦٤ وجدت كسرة من الفخار عليها كتابة باللغة العربية، ومن دراسة الفخار تبين انها تعود للفترة العباسية وهي جزء من وعاء (زبدية) وهو فخار تميل عجينته للون الابيض النقي والرقيق نوعا ما (**الشكل ٤**).

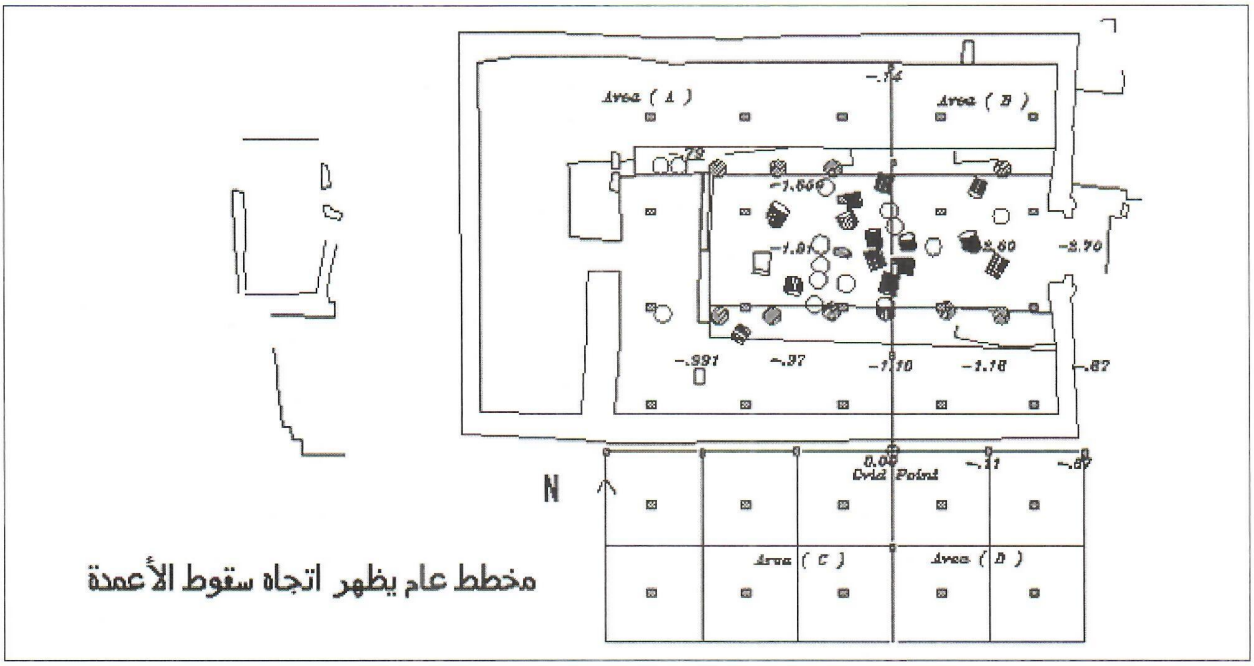

٢. مخطط عام لموقع الكنيسة البيزنطية المقام على مخطط المعبد الروماني.

٣. كسر من فخار العصر الروماني المبكر والعصر الحديدي الأول (العموني).

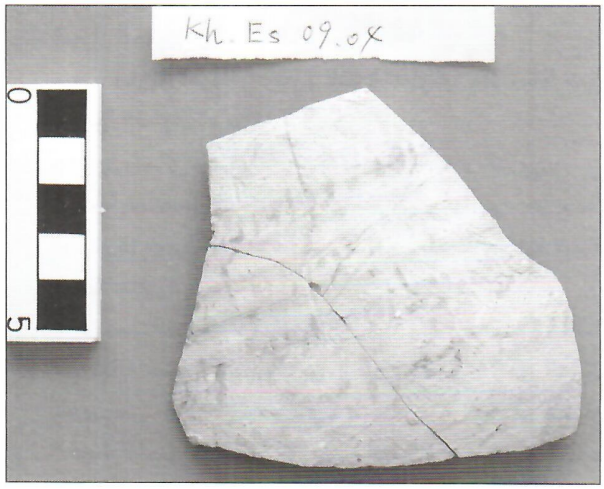

٤. حافة زبدية من الفخار وعليها كتابة بالعربية (يؤرخ هذا الفخار للفترة العباسية).

٣. المربع (C:B4): ويقع هذا المربع خارج شيك المبنى (الموقع المخصص لدائرة الآثار)، وتحوي الطبقات الاثرية جزء من جدار ينخفض تحت مستوى المعبد، ومن الظواهر التي كشفت:

- جدار وسط المربع يمتد شرق-غرب اقيم فوق بقايا ردم الكنيسة، تبين انه يعود للفترة العثمانية.
- ثلاث ارضيات تعود للعصر العثماني المتاخر بدليل الكسر الفخارية التي وجدت على هذه الارضيات.
- أربع طبقات تمثل تراكما حضاريا/ردم، تميز بوجود كسر فخار تدرجت من العصر الروماني القرن الثاني الميلادي إلى العصر الإسلامي المبكر دون انقطاع.
- عثر في مربع (C:B2:5) على تمثال من الفخار المزجج بطول ٢سم تقريبا يمثل حامي المدينة في العصر اليوناني – الروماني (**الشكل ٥**).
- كشفت قطعة عملة تعود لنهاية القرن الاول/الثاني الميلادي.

٤. المربع (A:C1): ويقع عند بداية الرواق الجنوبي من الجهة الغربية، ومن الظواهر التي كشفت:

- الجدار الجنوبي ويتكون بوضوح من مداميك اعيد بناؤها باستخدام حجارة البناء الاصلي بطريقة تخالف الهندسة الاصلية/المخطط.
- الجدار الغربي وينتهي بحجارة عقد لتقابل حجارة الجدار الشرقي ويمثل هذا بناء جديد داخل الكنيسة أقيم فوق لوحة الفسيفساء.
- الجدار الشرقي وينتهي بجزء من العقد المشار اليه سابقا ليكون معه عقدا يتجه شمال- جنوب ليكون وحدة معمارية.

٥. مقطع للتنقيب حيث كشف تمثال مزجج يمثل حامي المدينة في العصر اليوناني/ الهلنستي.

- ارضية فسيفساء مدمرة تماما ويبدو انها كانت من اللون الابيض فقط وما بقي فعلا مكان وضع الفسيفساء، ربما تم نقلها أو العبث بها، تمثل الاطار الخارجي لجناحي الكنيسة من الجهة الغربية (المدخل الرئيسي).
- جزء من عمود في زاوية الغرفة في طرفه ثقب ربما كان يستخدم لربط الخيول داخل الاسطبل في الفتر ة المملوكية.
- تدل قراءة الفخار الذي وجد في أرضية الغرفة على وجود فترة استيطان مملوكي داخل هذه الوحدة المعمارية.

٥. المربع (A:D4): ويقع في الزاوية الشمالية الغربية من الرواق الشمالي، ومن الظواهر التي اعيد اكتشافها:

- استمرار الجدار الشمالي للرواق مع وجود اعادة استخدام واضح في مداميك البناء العلوية، ويمتد هذا الجدار في المربعين(A:B4، A:C4).
- درج يقع عند زاوية المربع الشمالية الشرقية، يتكون من خمس درجات تنتهي بارضية غرفة تتكون من مادة كلسية صلبة ويقابل الدرج حوض من الحجر، وربما كان هناك طابق ثان فوق هذه الغرفة.
- تركيبة من حجارة مبنية تمثل دعامة لاقامة الدرج يقابلها بوابة تقع ضمن الجدار الشرقي لغرفة تعود للفترة المملوكية وذلك من خلال دراسة الفخار الملتقط من على سطح ارضية الغرفة.
- وقد كشف اسفل هذه الارضية رقعة من الفسيفساء الابيض بمكعبات ٢سم تقريبا وربما كانت ارضية غرفة من العصر الاسلامي المبكر لوجود فخار هذا العصر، كما وجدت قطعة فخار عليها كتابة عربية وهي من الخزف العباسي (A:D4:10)، وقد سبق الإشارة لها.

٦. مربع (B:A1): يقع في نهاية الرواق الجنوبي من الجهة الشرقية، واهم الظواهر الاثرية المكتشفة:

- الجدار الجنوبي للرواق وتكثر في مداميكه اعادة الاستخدام لعناصر معمارية ذات فترات مختلفة.
- الجدار الشرقي ويمثل جدار الغرفة الخاصة بالكهنة وفي نهاية هذا الرواق من الشرق مدخل للغرفة اعيد اغلاقه ربما في العصر الاسلامي المبكر.
- الجدار الشمالي يبدو انه يعود لفترة متاخرة فقد اقيم على ارضية من الفسيفساء.
- زخارف هندسية على شكل معينات متشابكة يتوسطها صليب محور وهناك اطار على شكل ضفيرة ملونة وكان يحوي بداخلة ايقونة تم تخريبها او نقلها لوجود فراغ بدون فسيفساء.

٧. مربع(B:B1): يقع في نهاية الرواق الجنوبي من الشرق، ومن اهم الظواهر المكتشفة:

- الجدار الجنوبي والجدار الشرقي.
- سقف الغرفة البرميلي ويعود للفترة المملوكية وقد سقط فوق ارضية الفسيفساء مباشرة.
- جدارين شمالي وغربي لغرفة مدخلها في الجدار الغربي.
- ارضية فسيفساء تحمل زخارف هندسية فيها جزء من جدلة (ضفيرة) ضمن اطار لوحة دمرت بفعل سقوط حجارة كبيرة فوقها مباشرة.
- اعيد نصب أحد الاعمدة بناء على دراسة مقارنة للاعمدة القائمة في نهاية صحن الكنيسة من الجانب الغربي، وهو العمود الثالث من أعمدة الصحن الأوسط للكنيسة حيث تم اختيار الاسطوانات والتاجية بشكل يظهر انها كانت بقايا هذا العمود بعد قياسها وتطبيق ذلك على احد الاعمدة القائمة (**الشكل ٦**).

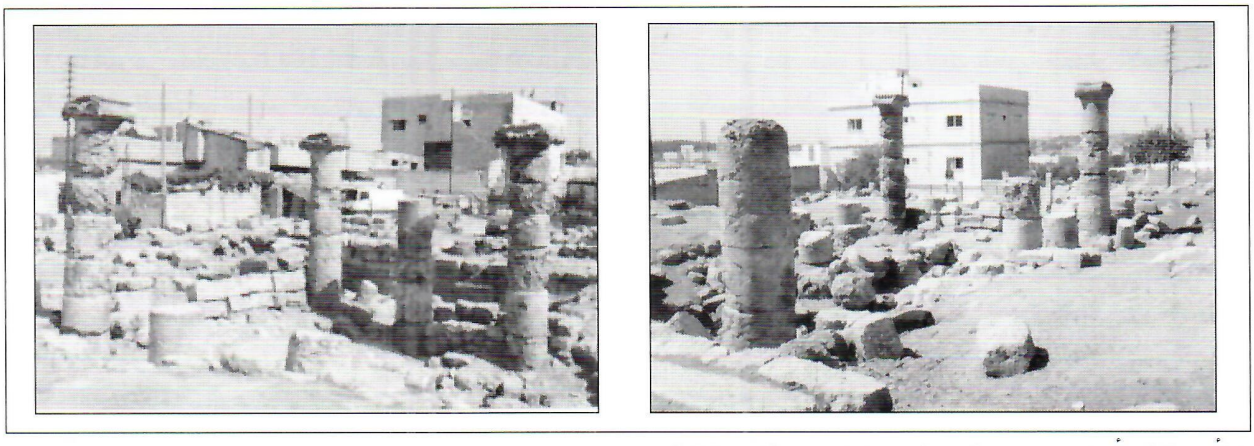

٦. الأعمدة القائمة أصلا وصورة تبين العمود الذي تم إعادة نصبه (العمود الثالث).

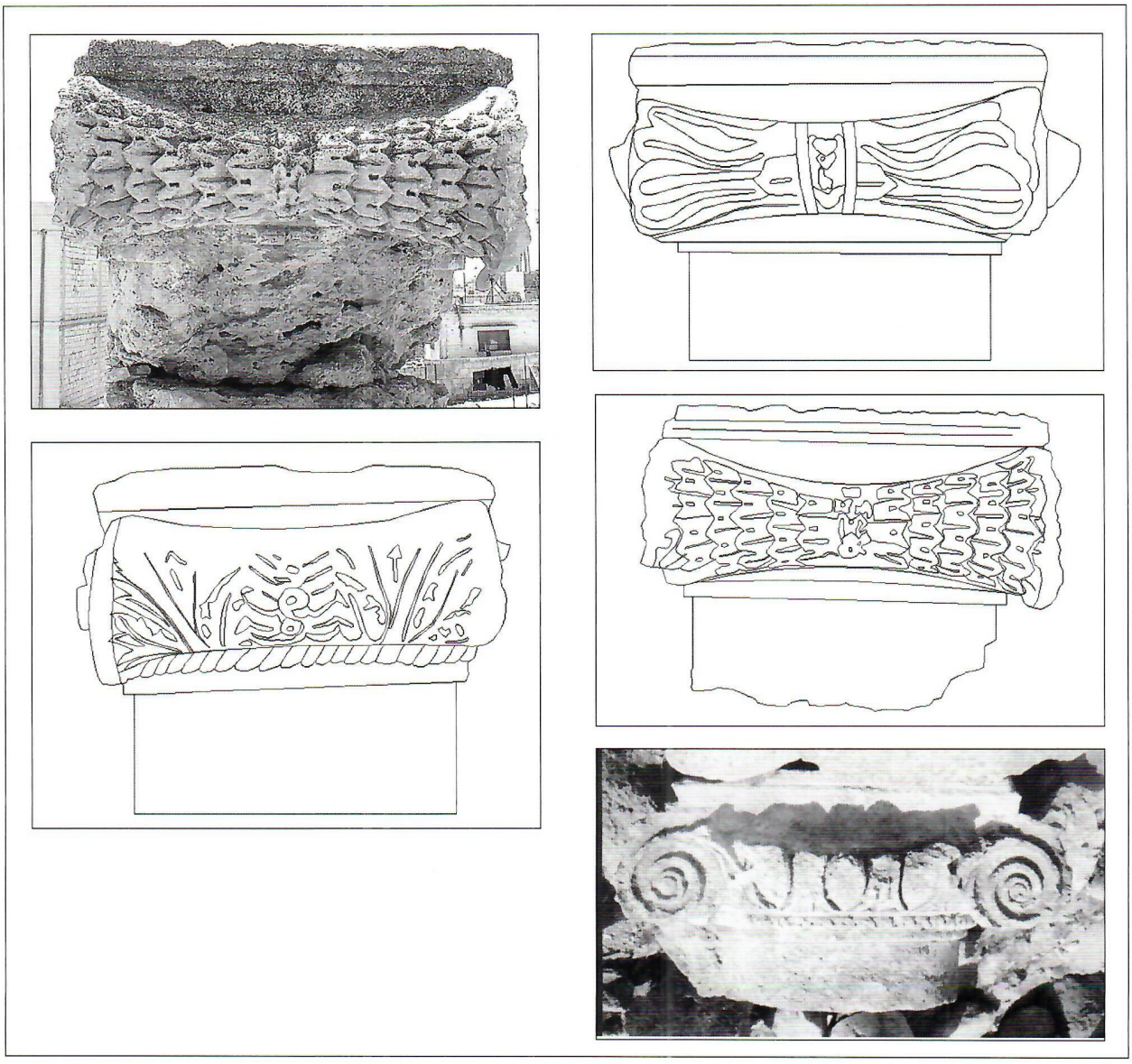

٧. صور ورسومات للأشكال الزخرفية المستخدمة في تيجان الأعمدة.

تحليل

ان ما ظهر في منطقة (A:B4:10a,b,c) يمثل مرحلة الاستيطان قبل استخدام المبنى في العصر البيزنطي ككنيسة داخل جزء المعبد المسمى قدس الاقداس ومنطقة ساحة الممر المعمد الذي أصبح الجدار الخارجي للبازيلكا.

ومن المظاهر المعمارية التي تعود للقرن الاول الميلادي طريقة قطع الحجارة والتي تظهر اطار للحجر بعد تشذيبه وبدون استخدام مادة تثبيت بين الحجارة، كما تبين ان ارضية صحن الكنيسة مبلطة بالحجر الكلسي، وقد تكون اعادة استخدام لارضية المعبد الروماني، وهناك نسبة جيدة من كسر فخار العصر الروماني المبكر.

ومن الملفت وجود تيجان ايونية ما زال بعضها في مكانه على قمة العامود، وهي طراز يوناني في الاصل، ويشير (بتلر) إلى تاج عامود ايوني في منطقة بريكه، ويذكر انه نظام روماني. كما ان (Larche:1991) اورد صورة لتاج وجد في معبد بعل في تدمر وذكر انها مظاهر هلنستية (القرن الاول ق.م) وربما استخدم البناء البيزنطي ما يشبه هذا الطراز في احدى كنائس ام قيس أيضا. كما نحت هذا الطراز على مدخل احد القبور الجماعية في موقع أهل الكهف (مقبرة رومانية) واستخدم في مبنى ضريح النويجيس الروماني وبشكل يخرج من ركن المبنى.

وقد زخرفت هذه التيجان باربعة اشكال مختلفة: كورقة الاكنثس المحورة وشكل يشبه الشارة العسكرية وشكل يشبه سعف النخيل واخر يشبه باقة/ اوحزمة مربوطة بعقدة من المنتصف (**الشكل ٧**).

ومن هنا فان المعبد على اقرب تقدير بنى في بداية العصر الروماني (نهاية القرن الاول ق.م) مع وجود استقرار يعود للعصر العموني.

وكان من ابرز البقايا المعمارية داخل مبنى الكنيسة ما تم بناؤه في العصور الاسلامية منذ بداية العهد الاموي وحتى نهاية العصر العثماني وبشكل مستمر ولغايات بعيدة عن كونه مكان عبادة.

ويظهر ذلك جليا في المداميك العلوية للجدار الاصلي للمعبد و الكنيسة وبعض اجزاء الفسيفساء التي رصفت في العصر الاسلامي المبكر، كما ان هناك عقود وجدران وبقايا معصرة تثبت وجود عمارة تعود للعصر العباسي، وكذلك مبان وعقود تخالف الاتجاهات الاصلية للكنيسة تعود للفترة الايوبية والمملوكية.

إن كل هذه الإضافات المعمارية الجديدة على المخطط الاصلي تؤكد وجود طراز معماري ساد في الفترة الاسلامية وذلك باعادة استخدام كافة العناصر المعمارية المتوفرة وباسلوب يمثل قدرة المهندس على الابداع، لهذا فانني ارى من الضرورة بمكان دراسة ما تم استحداثه من مبان في العصور الاسلامية لتوضيح الاشكال المعمارية وهدف استخدامها والذي يوحي بوجود مركزية حكم او حامية لأمير او قائد حامية في العصر الاسلامي المبكر (الأموي – العباسي).

أديب أبو شميس
دائرة الآثار العامة

المراجع

ابراهيم، معاوية
١٩٧٥ الحفريات الأثرية في الأردن. **حولية دائرة الآثار** ٢٠: ١٦.

زيادين، فوزي
١٩٨٢ الحفريات الأثرية. **حولية دائرة الآثار** ٢٦: ١٢.

Bibliography

Conder, C.R.
1940 Khareibet es Suk. *The Survey of Eastern Palestine*:140-144.

Butler, H.C.
1907 *Architecture in Syria* II.